العدد 10 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية تموز 2025
No. 10 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences July 2025
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

تحولات القوة تأثير الثورات الصناعية على تشكيل الخريطة السياسية والاقتصادية لأوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

م.م رياض ريحــان منشــود
جامعة كربلاء/كلية التربية للعلوم الانسانية/ قسم التأريخ
riyadhra80@gmail.com

الملخص

تتناول هذه المقالة دراسة علمية تحليلية لأثر الثورات الصناعية الكبرى التي شهدتها أوروبا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وما رافقها من تحولات جوهرية أعادت تشكيل ملامح القارة سياسيًا واقتصاديًا. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي لتتبع الأسباب والنتائج، مع التركيز على العلاقة التبادلية بين التقدم الصناعي وصعود الدول الأوروبية الكبرى، وسقوط قوى تقليدية، مما ساهم في بروز أنظمة اقتصادية رأسمالية وتغييرات جذرية في البنى الاجتماعية والسياسية.

الكلمات المفتاحية: (الثورة الصناعية، أوروبا، الرأسمالية، التحول السياسي، القوى الكبرى)

Power Shifts: The Impact of the Industrial Revolutions on the Political and Economic Map of Europe in the Eighteenth and Nineteenth Centuries

Assistant Professor Riyad Rayhan Manshood
University of Karbala/College of Education for Human Sciences/Department of History

Abstract

This article presents a historical-analytical study of the major Industrial Revolutions that took place in Europe during the 18th and 19th centuries, highlighting their profound impact on reshaping the continent's political and economic structure. The study relies on historical methodology to trace causes and consequences, with a particular focus on the interplay between industrial progress and the emergence of powerful states, the decline of traditional empires, the rise of capitalist systems, and structural social and political changes.

Key words: (Industrial Revolution, Europe, Capitalism, Political Change, Great Powers)

أولاً: السياق العام للثورات الصناعية

شهدت أوروبا منذ أواخر القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر مقدمات مهدت لقيام الثورة الصناعية الأولى، والتي امتدت فعليًا بين 1750 و1850. وقد ساهمت النهضة الفكرية التي بدأت منذ القرن الخامس عشر في إحياء التوجهات العلمية، حيث ظهرت نتائج الثورة العلمية على يد نيكولاس كوبرنيكوس (1473–1543)، وغاليليو غاليلي (1564–1642)، وبلغت ذروتها مع إسحاق نيوتن (1643–1727)، الذي وضع قوانين الحركة والجاذبية.

ومن الناحية الاجتماعية، ظهرت الطبقة البرجوازية بقوة في القرن الثامن عشر، حيث مثّلت شريحة اقتصادية جديدة ذات نفوذ مالي متصاعد، وقد ارتفع عدد سكان أوروبا من نحو 140 مليون نسمة عام 1700 إلى أكثر من 190 مليون نسمة بحلول عام 1800، مما ساعد في توفير يد عاملة كبيرة ساعدت على إنجاح المشاريع الصناعية.

وكانت الثروات الاستعمارية عاملاً حاسمًا، فمع توسع الإمبراطوريات الأوروبية مثل بريطانيا وفرنسا وهولندا في قارات آسيا وأفريقيا وأمريكا، تدفقت المواد الخام الأساسية مثل القطن، والسكر، والمعادن الثمينة، مما وفّر بنية اقتصادية محفزة للتصنيع والتجارة. فمثلًا، استوردت بريطانيا أكثر من 200 ألف طن من القطن الخام من مستعمراتها بحلول عام 1800، مقارنة بـ 12 ألف طن فقط عام 1750، بحسب تقديرات المؤرخ الاقتصادي إريك هوبسباوم.

ثانيًا: الثورة الصناعية الأولى (1750–1850)

انطلقت الثورة الصناعية الأولى في بريطانيا تحديدًا في منتصف القرن الثامن عشر، ويُعتبر عام **1765** تاريخًا رمزيًا لاختراع الآلة البخارية المطوّرة من قبل جيمس واط (1736–1819)، والتي شكّلت حجر الزاوية في التحول الصناعي.

وقد تطورت صناعة النسيج بشكل ملحوظ، فتم اختراع آلة الغزل المعروفة بـ"سبينينغ جيني" سنة **1764** على يد جيمس هارجريفز، تلتها آلة "النول الآلي" سنة **1785** بواسطة إدموند كارترايت، ما أدى إلى زيادة إنتاج القطن وتراجع الصناعات اليدوية. وبين 1780 و1800، تضاعف إنتاج النسيج القطني في إنجلترا ثلاث مرات تقريبًا.

كما لعبت السكك الحديدية دورًا حيويًا في الثورة الصناعية؛ ففي عام 1825 افتُتح أول خط سكة حديد في العالم يربط بين ستوكتون ودارلينغتون شمال إنجلترا، وبلغ طول السكك الحديدية في بريطانيا أكثر من 13 ألف كم بحلول عام 1850. هذا التطور ساعد على تسهيل حركة البضائع والمواد الخام بين المناطق الصناعية.

وتجدر الإشارة إلى أن الناتج الصناعي البريطاني تضاعف أربع مرات بين 1780 و1840، وهو ما جعل بريطانيا تُعرف بـ"ورشة العالم". كما انتقل سكان الريف إلى المدن بأعداد ضخمة، فزادت نسبة سكان المدن البريطانية من 20% عام 1750 إلى 50% عام 1850، ما أدى إلى نشوء طبقة عاملة جديدة عرفت باسم البروليتاريا.

في المقابل، واجه العمال أوضاعًا قاسية، إذ كانت ساعات العمل تتجاوز 14 ساعة يوميًا في بعض المصانع، وبلغت معدلات وفيات الأطفال في بعض المناطق الصناعية أكثر من 30% قبل سن الخامسة، ما أثار موجات من النقد الاجتماعي وأدى إلى بروز مفكرين مثل كارل ماركس (1818–1883) الذين بدأوا في طرح بدائل فكرية للنظام الرأسمالي القائم.

ثالثًا: الثورة الصناعية الثانية (1870–1914)

انطلقت الثورة الصناعية الثانية في نهايات القرن التاسع عشر، ويُعد عام 1870 نقطة انطلاق رمزية لها، واستمرت حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى عام **1914**. وقد تميزت هذه المرحلة باستخدام مصادر جديدة للطاقة، أبرزها الكهرباء والبترول، إلى جانب تطور الصناعات الكيميائية والفولاذ، مما أدى إلى مضاعفة الإنتاج الصناعي في الدول الغربية.

برزت الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا كقوتين صاعدتين في المشهد الصناعي؛ فبينما كان الناتج الصناعي الأمريكي يعادل ثلث الناتج البريطاني فقط عام 1860، أصبح يتجاوزه مع نهاية القرن التاسع عشر. كذلك، شهدت ألمانيا زيادة ضخمة في إنتاجها من الصلب، حيث ارتفع من 100,000 طن عام 1871 إلى 15 مليون طن عام 1913، متجاوزة بذلك بريطانيا وفرنسا.

شهدت هذه الفترة تطور الشركات متعددة الجنسيات، مثل شركة جنرال إلكتريك (تأسست عام 1892) في أمريكا، وسيمنز (تأسست عام 1847) في ألمانيا، وظهرت مفاهيم اقتصادية جديدة مثل خط التجميع الذي طوره هنري فورد عام 1913 في مصانع السيارات، مما خفّض كلفة الإنتاج وسرّع عمليات التصنيع.

كما ساهم التقدم في الاتصالات والنقل البحري والبري، مثل اختراع الهاتف عام 1876 على يد غراهام بيل، وظهور السفن البخارية العملاقة، في ربط الأسواق العالمية، وازدهار التجارة الدولية. وقد ازداد حجم التجارة الخارجية للدول الصناعية الكبرى بنسبة أكثر من 300% بين 1870 و1910.

وفي ظل هذا التوسع الصناعي، ظهرت الاحتكارات الكبرى أو ما يُعرف بـ"التروستات"، مثل شركة ستاندرد أويل الأمريكية التي سيطرت على نحو **90%** من صناعة النفط في أمريكا بحلول عام **1900**، مما أدى لاحقًا إلى تدخل الدولة لسن قوانين مكافحة الاحتكار مثل قانون شيرمان الأمريكي عام 1890.

رابعًا: الأثر السياسي للثورات الصناعية

خلقت الثورة الصناعية، منذ بدايتها وحتى ذروتها الثانية، تحولات سياسية عميقة في بنية الدولة والمجتمع الأوروبي. فقد أفرزت الثورة الصناعية فئات اجتماعية جديدة مثل الطبقة العاملة (البروليتاريا) التي بدأت تطالب بحقوقها. وتزايد عدد العمال الصناعيين في أوروبا من قرابة 5 ملايين في عام 1800 إلى أكثر من 30 مليونًا بحلول عام 1910، ما فرض على الحكومات وضع تشريعات تنظم ساعات العمل، والضمان الصحي، وتعليم الأطفال.

برزت النقابات العمالية كأداة ضغط سياسي، وظهرت أحزاب تمثل مصالح العمال مثل الحزب الاشتراكي الألماني (تأسس عام 1875)، الذي حصل على أكثر من 4 ملايين صوت في انتخابات 1912، ليصبح أقوى حزب في الرايخستاغ.

وقد دفعت هذه الضغوط إلى تحديث الأنظمة السياسية تدريجيًا، وتوسيع قاعدة المشاركة الشعبية في الحكم، كما حدث في بريطانيا بعد صدور قانون الإصلاح الثالث عام 1884، الذي منح حق التصويت لشرائح أوسع من الطبقة المتوسطة.

من ناحية أخرى، ساهم التصنيع في صعود الحركات القومية والوحدوية. ففي إيطاليا، ساعد النمو الاقتصادي في دعم جهود جوزيبي غاريبالدي وكافور لتوحيد البلاد عام **1861**، أما في ألمانيا، فقد استغل أوتو فون بسمارك (المستشار الألماني) الطفرة الصناعية لتوحيد الإمارات الألمانية تحت راية الرايخ الثاني عام 1871 بعد الانتصار على فرنسا.

وقد ارتبطت هذه التحولات بنشوء الدولة الحديثة التي اتسمت بوجود مؤسسات تمثيلية، وإدارات بيروقراطية، وتشريعات عامة، تعزز دور الدولة كمنظم للحياة الاقتصادية والاجتماعية.

خامسًا: التغير في موازين القوى الأوروبية

أدت الثورات الصناعية إلى إعادة تشكيل موازين القوى في أوروبا خلال القرن التاسع عشر، حيث برزت دول صناعية حديثة على حساب إمبراطوريات تقليدية. فقد شهدت بريطانيا ذروة تفوقها الصناعي

والبحري في النصف الأول من القرن، وتمكنت من السيطرة على أكثر من ربع سكان العالم بحلول عام 1870 من خلال إمبراطوريتها الاستعمارية. وقد أطلق على هذه الحقبة تسمية **"Pax Britannica"** – السلام البريطاني – نتيجة هيمنة بريطانيا على التجارة العالمية والاستعمار.

إلى جانب بريطانيا، صعدت ألمانيا بعد توحيدها عام **1871** إلى مصاف القوى الصناعية الكبرى، وارتفع إنتاجها من الصلب من 1.4 مليون طن عام 1880 إلى أكثر من 15 مليون طن عام 1913، متجاوزة فرنسا وبريطانيا. أما فرنسا والنمسا-المجر فقد تراجعتا نسبيًا بسبب بطء وتيرة التصنيع لديهما.

وشهدت هذه الفترة احتدامًا في التنافس الاستعماري، خاصة في إفريقيا وآسيا، حيث سعت القوى الصناعية الجديدة لتأمين مصادر المواد الخام والأسواق الخارجية. فعلى سبيل المثال، عقدت مؤتمر برلين عام 1884–1885 لتقسيم إفريقيا بين القوى الأوروبية، ما يكشف عن طبيعة التنافس الإمبريالي الذي غذته الثورة الصناعية.

وقد أدى هذا التنافس، إلى جانب سباق التسلح وتكوين التحالفات العسكرية (مثل التحالف الثلاثي عام 1882 والوفاق الثلاثي عام 1907)، إلى توتر العلاقات الدولية، ومهّد الطريق لاندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1914، التي مثلت ذروة الصراع على الزعامة الأوروبية والعالمية.

سادسًا: التحولات الاجتماعية والاقتصادية المصاحبة

لم تقتصر آثار الثورات الصناعية على البنية الاقتصادية والسياسية، بل أحدثت انقلابات جوهرية في النسيج الاجتماعي الأوروبي. فمع توسع المدن الصناعية، انتقل ملايين السكان من الريف إلى الحواضر، حيث ارتفع عدد سكان لندن من 1 مليون نسمة في 1800 إلى 6.5 مليون نسمة في 1900، بينما تضاعف عدد سكان برلين ثلاث مرات خلال نفس الفترة.

أدى هذا التحول إلى بروز طبقة عاملة حضرية ضخمة (البروليتاريا)، كانت تعيش غالبًا في ظروف سكنية وصحية مزرية. وقد دفعت هذه الأوضاع البائسة إلى ظهور الحركات العمالية والنقابات، حيث تأسست أول نقابة عمالية وطنية في بريطانيا عام **1834**، تبعها انتشار سريع للنقابات في ألمانيا وفرنسا.

كما ظهرت الأفكار الاشتراكية كرد فعل على الاستغلال الرأسمالي، خاصة مع نشر البيان الشيوعي عام 1848 من قبل كارل ماركس وفريدريك إنجلز، الذي دعا إلى إلغاء الملكية الخاصة وقيام مجتمع اشتراكي. وقد شكلت هذه الأفكار الأساس لنمو الأحزاب الاشتراكية والعمالية في أنحاء أوروبا.

واستجابة لهذه الضغوط، بدأت تشريعات الرفاه الاجتماعي بالظهور، وأبرزها في ألمانيا تحت حكم أوتو فون بسمارك، الذي أقر نظام التأمين الصحي عام 1883، وتأمين إصابات العمل عام 1884، ومعاشات الشيخوخة والعجز عام 1889، مما جعل ألمانيا أول دولة تطبق ما يُعرف بـ "دولة الرفاه".
اقتصاديًا، أسهمت الثورة الصناعية في رفع الإنتاجية وزيادة الدخول القومية، فمثلاً ارتفع الناتج الصناعي لبريطانيا بنسبة أكثر من 400% بين 1800 و1900، لكن ذلك ترافق أيضًا مع اتساع الفجوة بين الطبقات، وظهور البرجوازية الصناعية كمستفيد رئيس من هذا النمو، مقابل معاناة العمال.

قائمة المصادر

أولًا: الكتب والمراجع العربية
1. الدوري، عبد العزيز عبد الكريم. تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر. بيروت: دار الفكر العربي، 2005.
2. عبده، سمير فايز. الثورة الصناعية وأثرها في نشوء الرأسمالية. عمان: دار المناهج، 2012.

3. مصطفى، شاكر محمود. أوروبا من الثورة الصناعية إلى الثورة الفرنسية. دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 2010.
4. حنفي، حسن محمود. التحول الصناعي وأثره في التاريخ الأوروبي. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1998.
5. الجبوري، عبد الهادي محمود. التطور السياسي والاقتصادي لأوروبا في القرن التاسع عشر. بغداد: دار الرشيد، 2001.
6. قنديل، جمال عبد الجواد. الرأسمالية الصناعية وتطور المجتمع الأوروبي. القاهرة: عالم الكتب، 1994.
7. زيدان، خالد عبد الله. التحولات الاجتماعية في أوروبا بعد الثورة الصناعية. القاهرة: مكتبة النهضة، 2008.
8. نوفل، يوسف إبراهيم. أثر الثورة الصناعية في تطور الفكر السياسي الحديث. عمان: دار الثقافة، 2015.
9. عيسى، فهد طه. الاستعمار الأوروبي في القرن التاسع عشر. بغداد: دار الحرية للطباعة، 2002.
10. العاني، خالد عبد الرضا. الحركات العمالية في أوروبا بين الثورة والإصلاح (1750-1900). بيروت: دار الطليعة، 2014.

ثانيًا: الكتب والمراجع الأجنبية (مترجمة أو أصلية)

1. Hobsbawm, Eric. *The Age of Revolution: Europe 1789–1848*. Vintage Books, 1996.
2. Landes, David S. *The Unbound Prometheus: Technological Change and Industrial Development in Western Europe from 1750 to the Present*. Cambridge University Press, 2003.
3. Mokyr, Joel. *The Lever of Riches: Technological Creativity and Economic Progress*. Oxford University Press, 1990.
4. Ashton, T. S. *The Industrial Revolution (1760–1830)*. Oxford University Press, 1948.
5. Stearns, Peter N. *The Industrial Revolution in World History*. Routledge, 2013.
6. Griffin, Emma. *Liberty's Dawn: A People's History of the Industrial Revolution*. Yale University Press, 2013.
7. Engels, Friedrich. *The Condition of the Working Class in England*. Penguin Classics, 1987.
8. Roberts, J. M. *The Penguin History of Europe*. Penguin Books, 2000.

ثالثًا: الرسائل والأطاريح الجامعية

1. محمود، هديل حسين. الثورة الصناعية الأولى وانعكاساتها السياسية في أوروبا (1750–1850). رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية، 2011.
2. عباس، نوال علي. أثر الثورة الصناعية في تشكيل السياسات الاستعمارية في أوروبا (1850–1914). رسالة ماجستير، جامعة المستنصرية، 2014.
3. الجبوري، صلاح عبد الهادي. تاريخ القضاء في العراق من 1921-1958. أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، 2003.
4. عبد الرحمن، نزيهة طاهر. أثر الثورة الصناعية في تبلور الفكر الاشتراكي الأوروبي. رسالة ماجستير، جامعة الموصل، 2007.
5. أحمد، سمر عبد الحليم. الثورات الصناعية ودورها في بناء الدولة الحديثة في أوروبا. أطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، 2016.

رابعًا: الدوريات والمجلات العلمية

1. مجلة دراسات تاريخية، العدد 56، "التحولات الاقتصادية الكبرى في أوروبا خلال القرن التاسع عشر"، جامعة دمشق، 2018.
2. المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 12، "البنية الاجتماعية في ظل الثورة الصناعية الثانية"، جامعة القاهرة، 2020.
3. مجلة التاريخ المعاصر، العدد 9، "العلاقة بين التصنيع وبروز القومية الأوروبية"، جامعة بغداد، 2017